



تأملات في الكتابة والإبداع

(حلقة من السيرة الذاتية)

« البحث عن اللغة.. »

أتوق، أحياناً، وأنا أحترق بنار التجربة، أن أجد اللغة التي تحمل صوتي إلى الآخرين.. أن أشر على صيغة ملائمة للخطاب.. لإخراج النار التي تنزف في جملتي العصبية لكي أشعل بها وجدان الآخرين.

هذا هو جوهر المأساة التي عاشها جل الشعراء والفنانين، إنهم لم يجدوا القدرة على صياغة لغة معادلة تماماً للخبرة بكل خلفياتها، ومكوناتها، وألقها، وهديرها، وتوقعها للمجهول.

أن يستحيل المجهول لديهم إلى معلوم، وأن يصير الحلم واقعاً.. وأن يتشكل الهيولى بقوة الحرف، قبالة الحسن البشري واضحاً، نقياً، متألّقاً، كالبلور.. فضاع بعضهم، ضاع في الغموض، دخل، أراد أم لم يرد، دنيا الضباب والأفان.



د. عماد الدين خليل - العراق



الصاحب . هابطاً مصعداً.. أحياناً، تصير التجربة نوعاً من الرحيل في المملوكات.. تجاوز المنظور إلى ما وراء المألوف.. إلى دنيا لم تطأها . بعد . قدم إنسان، ولا تعاملت معها كلماته، فأنى باللغة التي تصف وتشرح وتيسر وتنقل الخطاب إلى الناس محدثة عما يحدث هناك، مشكلة، بقوة الحرف وقدرته على التعبير، معالم الأرض البكر التي تغيب عند التخوم البعيدة، فيصير ذهبها وألماسها شيئاً آخر غير الذهب والألماس؟

«الخيوط الرفيع»

هناك وجه آخر في إشكالية تعاملي مع اللغة، يتمثل في المستوى اللغوي للأداء وأنا أكتب مؤلفاتي..

والخيوط رفيعة.. والسير ها هنا كالسير على حدّ السيف.. فإما أن تكتب

لجماهير القراء، فتسطّح وتضيع، وتدان من دوائر المثقفين والمتخصصين.. وإما أن تكتب لهؤلاء فتخسر الجماهير، وربما الناشرين معهم، أولئك الذين يعطون لمؤلفاتك إشارة المرور للوصول إلى القراء.. وطالما حدثني بعضهم عن ضرورة إجراء تبسيط أكثر في أعمالي لأن القراء يشكون من صعوبتها.

ولم تكن الاستجابة لهذا الطلب بالأمر اليسير، لأنها ستجرفني باتجاه السهولة الزائدة، فتفقد أعمالي احترامها من قبل الدوائر الأخرى.

على أية حال، كانت محاولتي صعبة وأنا أسعى إلى الإمساك بالعصا من أوسطها، فأحتفظ بالجماعتين معاً.. ولكن هذا لم يخل من خسارة، فإن هناك على

بعضهم الآخر، وبصعوبة بالغة، أو بالأحرى بنوع صعب من التضحية، فك ارتباطه بالأعماق، وغادر إلى السطح، أو قريب منه، لكي يجد اللغة السهلة التي تعبر عن الطبقات الأقرب إلى السطح، فتضخّل.. وضاع..

مشكلتي كانت البحث عن اللغة التي تخرج بي بعيداً عن هذا المصير أو ذاك.. لغة الوضوح العميق أو العمق الواضح.. خمسون سنة وأنا أبحث وأنقب عن

اللغة الحلم.. اللغة المستحيلة.. ولقد أوقعتني هذا في حشود من الأخطاء.. أحياناً . وأنا أمارس المحاولة، حتى في ساحة الأكاديمية التي تستعصي على الشعر والخيال.. لم يفهمني أصحابي فازددت تعاسة وضياعا..

أحياناً أخرى كنت، وللحظات، أعثر على المطلوب (كما في المغول، والعبور، والفن والعقيدة، والسيف والكلمة..) فيقرّر قراري، وأحس طعم القناعة العذبة وأنا أجد الكلمة التي تحمل الحريق الذي يدمرني من الداخل، لكي تضئ به العالم!

أحياناً أخرى أرجع من حيث أتيت وتستعصي عليّ الكلمات، فأعرف كيف يكون العذاب.. في الشعر.. في النقد.. في الفكر.. في التاريخ.. في المسرحية.. في الرواية.. في المقال.. في البحث والدراسة والسيرة، في الفلسفة والمنهج.. وأخيراً في السيرة الذاتية..

كان الهاجس نفسه يلحّ عليّ، ويتقلب بي - كالموج





والذي يؤول بخيوط العمل الفني، بقصدية لا ارتباك فيها، ويقوده إلى النهايات المنطقية، فإن لغة الكتابة، حتى في مجالات بعيدة عن دائرة الأدب والفن. أحياناً - تخرج في صيرورتها، ونبضها، وإيقاعها، وترتيب مفرداتها، عن مملكة المفكر، أو إرادته، لكي تشكل نفسها بنفسها..

وهذا هو الذي حدث في بعض أعمالي، وليس فيها جميعاً بطبيعة الحال..

«ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز» - مثلاً - أو «حول إعادة تشكيل العقل المسلم» أو حتى «التفسير الإسلامي للتاريخ» إلى حد ما.. فكل واحد من هذه الأعمال ينطوي على مناخه اللغوي، أو التعبيري الخاص، بكلمة أدق، ويحمل مذاقه المختلف عن الأعمال الأخرى..

وكنت، في البدايات الأولى، أتعهد أن أضع نفسي في دائرة بعض المؤثرات الخارجية، كتشغيل جهاز التسجيل على سيمفونية ما، كالذي حدث في «ملامح الانقلاب» من أجل منح التعبير بطاقته الوجدانية، ونبضه الشعري، ولكني - بمرور الوقت - استغنييت عن هذا بعد أن وجدت «العمل» نفسه يختار لفته دونما أي مؤثر خارجي.

«الإصاحب هذا القبر»

نموّ الخبرة، والرغبة الدائمة في التحسين، وعدم الرضا عن الأشياء التي تم إنجازها، أو جوانب منها على الأقل، وعندما يرجع الإنسان إلى قراءة ما سبق وما كتبه قبل عشر سنوات أو عشرين، يقول في ذات نفسه: «يا ليتني ما قلت هذا» أو «لو أنني قلته بشكل آخر غير ما هو عليه».. ودائماً تبدو الأعمال الأكثر حداثة، ولاسيما في ميادين الإبداع، أكثر نضجاً واكتمالاً من الأعمال الأولى.. إنها مأساة الرغبة في التحسين في ضوء الخبرة المتنامية التي يبدو أنها تتحرك نحو الأوج

الطرفين من لم يرتح لهذا، فظلت مساحات من القراء تشكو من صعوبة لغتي، وظلت مساحات أخرى تدين جنوحها صوب البلاغيات، والإنشائيات، وربما التكرار الذي كان يستهدف إيصال الخطاب إلى القواعد العريضة من القراء.

مهما يكن من أمر فأنني مقتنع بفضل الله، بهذا الذي استطعت أن أفعله تجاه إشكالية اللغة، وظلت مؤلفاتي ترفع خطابها لأكثر الشرائح ثقافة وتخصّصاً، وتخترق جدران الأكاديمية لكي تعتمد في العديد من الجامعات العربية والإسلامية والعالمية، في مستويات الدراسات الأولية والعليا على السواء، فضلاً عن اعتمادها في إنجاز العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في مختلف بلدان العالم، دون أن يؤثر هذا، إلا في نطاق محدود، على قاعدتي العريضة من القراء.. قاعدتي التي أعتزّ بها وأعتبرها - بعد الله سبحانه - سندي وظهري ومحفّزي لمواصلة العطاء..

«التنامي المستقل»

عندما كنت أشرع في تنفيذ مشروع كتاب ما، كانت اللغة، أحياناً، تقرض نفسها عليّ: بإيقاعها، بجملها، بمناخها، بشروطها الجمالية، بل حتى بمفرداتها.. فيجيء التعبير متوحداً في «طعمه» إذا صحّ التعبير، من بدء العمل حتى منتهاه..

يبدو أن اللغة تمارس نوعاً من الجبرية على المفكر فلا تدع له مجالاً للانتقاء والتنقل بين الفقرات والفصول، ولا تعطيه هامشاً لالتقاط الأنفاس، وإعادة ترتيب أوراقه التعبيرية.. بمعنى أنها - كالعامل الإبداعي - تتشكل ذاتياً، وفق شروطها وقوانينها الخاصة، بعيداً عن التدخل المباشر من قبل المفكر.. فكما أن القصيدة أو القصة أو المسرحية، بعد هندسة مركزياتها الأساسية، تخرج عن خيار الأديب، وتبني نفسها، وفق نوع من التنامي المحكم في معظم الأحيان،

كنت أعتصره حتى الثمالة.. وكنت أعرف كيف أوظفه على أكثر من مستوى.. أتذكر مقولة العقاد -رحمه الله: «أن تقرأ كتاباً واحداً خمس مرات، أفضل من أن تقرأ خمسة كتب»!

وكنت، بسبب الوسواس التسلطي الذي طالما حكمني وعذبني، أعيد قراءة العبارة الواحدة خمس مرات وربما عشرة حتى أقتنع تماماً بأنني بلغت غورها العميق وأدركت سرّها المخبوء..

كنت . أحياناً . أمضي قبل المؤلف نفسه، بخطوات قد تسبقه، بحثاً عن معنى ربما لم يكن يريد أن يقوله أو يقصد إليه.. ولكنه بالنسبة لي على الأقل كان يمنحني الكثير..

كانت الإضافات الجادة المؤثرة التي يمنحها الكتاب الممتاز بالنسبة لي تتمثل حيناً باللغة، وحيناً بالنبض الشعري، وحيناً بقوة الخيال، وحيناً بالقدرة على الابتكار، وحيناً بجبروت الأفكار.. حيناً بالهمس، وحيناً بالصراخ.. حيناً بالرضا والتوافق والانسجام، وحيناً بالثورة والتمرد والتشتت والارتطام.. حيناً بالقدرة على ترتيب المعطيات وفق نظام هندسي صارم كالفضولاذ، ومنطق جدلي حاد كالسكين، وحيناً آخر بتدمير الأنساق، وجعل الفوضى وتلاشي الحدود الفاصلة بين الأشياء هي الحكم الأخير، حالة سريالية.. ربما.. أو لا معقولة بشكل من الأشكال..

عبر الخمسينيات والستينيات، ربما لتزداد قدرة على العطاء قبل أن تبدأ رحلة الذبول والانطفاء..

إن ما قاله العماد الأصفهاني يبدو أنه قدر كل الذين كتبوا كثيراً.. كل الذين امتلكوا طموحاً كبيراً في أن يقولوا كل شيء.. في ألا يتركوا صغيرة ولا كبيرة، مما يمكن أن يكتب، إلا وتعاملوا معه..

قدر ألا يقتنع الإنسان بكمال أعماله، وأن تحكمه عقدة النقص في نسجها، فيما عدا حالات استثنائية لا يقاس عليها.. لكن

الجانب المضي لهذه المأساة أنها تدفع للرغبة في المزيد من الإتيان، على الأقل بالنسبة للأعمال التالية، وبالتالي تتقدها من المزيد من المطبات والمناقص والأخطاء، ولكن هذه نفسها، في منظور زمني

تال، ستبدو ناقصة، ليس فقط بحكم تنامي القدرة العقلية والإبداعية، وإنما.. أيضاً.. بحكم تراكم الخبرة وقوانينها الضاغطة.. ودائماً تجيء عبارة مالك بن أنس -رحمه الله- قانوناً حاسماً وعدلاً ومطمئناً لكل الذين يحاولون.. «كل ابن آدم يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر» ويقصد محمداً (صلى الله عليه وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى.

«الكأس حتى الثمالة»!

كان الكتاب الواحد.. الكتاب الممتاز بطبيعة الحال.. يقدم لي أكثر بكثير مما يقدمه للآخرين..





إن هندسة الموضوع المراد تقديمه في محاضرة عامة يجب أن يضع هذه البدايات في حسابه، والأحرى تحرك على سطح الأشياء ولم يمارس إيفالاً في أعماق الظواهر. ولقد ساعدني هذا على أن تتحول محاضراتي إلى مشاريع تأليفية.. كنت أرجع إلى النواة المشكلة في نسيج المحاضرة، فأمد آفاقها، وأغنيها بالمفردات، وأحيلها إلى كتاب.. لكن الأساس هو نفسه.. الخارطة هي نفسها، تلك التي طرحت على الجمهور في محاضرة عامة.

«نداءات مبكرة للتحذير»

كانت المطالعة حتى منتصف الستينيات تنطوي على المتعة والعذوبة، وكانت الكتب المؤلفة والمترجمة تعتمد لغة عذبة واضحة وعميقة في الوقت نفسه، وكان الكمّ المعروض في السوق محدوداً يمكن متابعتها، وتذوّقه، والسيطرة عليه.. ثم ما لبثت أن حلت الكارثة:

انفجار رهيب في الكم ضاعت معه السيطرة والتذوق على مكث.. غياب الأجيال الأولى من الكتاب ذوي الأسلوب العذب، واللفة المحكمة، والرغبة الأصلية في البيان.. ظهور جيل من المترجمين السيئين لا يتعاملون مع النصّ بتمكن والماسم.. ظهور أجيال من الكتاب المتأثرين بتيارات الحداثة الغربية، والنزوع إلى الإغماض دون إدراك دوافع ومنطوق الإغماض الغربي.. المتغيرات السريعة في ميادين المعرفة وحمل التخصص الدقيق.. انفجار المعطيات الأكاديمية المسوخة، والاعتقال في زناينة التخصص، وغياب الاستشراف الثقافي.. تحولات عنيفة للنقد الحداثي وضعت بين النصّ والمتلقي سداً من الكراهية والاشمئزاز.. انفجار الدوريات والحنين الرومانسي إلى أيام القلة العذبة: (الرسالة) و (الهلال) إلخ.. تضاول انتشار السلاسل

هذا كله طبعاً، فضلاً عن الطبقة الأولى.. الطبقة الاعتيادية: وهي ركام المفردات المعرفية، والخبرات الفنية، التي كانت دائماً تضيف إلى رصيدي ثروة غنية مترعة بالسخاء..

وكنت، بفضل الله سبحانه ورحمة منه، أوظف هذا كله في سياق واحد.. معمار يحاول أن يكون متناظراً قدر الإمكان.. مقتعاً في نسبه وأبعاده ومساحاته.. أن تكون الكتابة، أية كانت الأطر التي تتشكل فيها، والأنواع الأدبية التي تتسج خيوطها، مرآة لكلمة الله في العالم.. لوحدايته جلّ في علاه، ولحاكميته التي كانت الأديان كلها، وخاتمها الإسلام، تعبيراً عن بعدها الأول والأخير: أن يكون منهاج العمل في هذا العالم قادماً من فوق.. من عند الله.. إذ إن أية محاولة أخرى خارج هذا التحليل المؤكد، ليست سوى ضياع وضرب في التيه..

الأصوات الحرفية التي كان يرفعها أصدقاء محدودو الفضاء الرؤيوي ما أدركوا هذا، ولا حاولوا بإخلاص.. أن يقتربوا منه، ولذا قال أحدهم: إنني في بعض أعمالي الأدبية، وربما الفكرية، كنت أعبر عن نفسي، ثم ما لبثت أن أضع لافتات إسلامية عليها!

«النواة التي تصير كتاباً»

بدأت أدرك أكثر فأكثر أن «المحاضرة العامة» يجب أن تكون معماراً مركباً من عدة مستويات.. لحناً هارمونياً ذات أصوات عديدة.. وأن المحاضرة ذات الطبقة الواحدة أو الصوت الواحد، إنما هي عرض لأمر مكشوفة على سطح ذي طول وعرض، يكاد معظم المستمعين يعرفون أبعاده مقدماً، فضلاً عن أنه جهد استهلاكي يكرر، ولا يملك القدرة على الإبداع، والإضافة، والابتكار..

إن المحاضرة المركبة هي هذه القدرة على الابتكار، ليس في المنهج فقط، وإنما في الموضوع أيضاً..

«الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه»

في التعامل مع القرآن الكريم، تلاوة، اكتشفت في وقت متأخر نسبياً، أنه يمنح متعة ذهنية وروحية أكبر بكثير، عندما يحاول المرء أن يتابع الارتباط الصميم داخل بنية كل سورة، على مستوى الشكل والمضمون معاً.. إنه حينذاك سيكتشف أشياء جديدة، وقيماً ومعطيات مدهشة، وستصير القراءة محاولة يومية للاكتشاف.

صحيح أنه أمر مجهد، ولكنه يحقق متعة يصعب وصفها.. إنها - مع فارق التشبيه - كمحاولة حل المعادلات الرياضية الصعبة.

إن هذا القرآن كتاب معجز، وهو لا يَخْلُقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوماً.. وهذه هي إحدى عجائبه: ذلك الارتباط الوثيق بين مقاطع وآيات السورة الواحدة، ذلك الانتقال المرسوم بين الأزمان الثلاثة، ذلك التنقل المهندس بين الأماكن والبيئات، وذلك التسلسل المذهل بين الموضوعات.

إن البيئي، والطبيعي، والعالمي، والكوني، والروحي والمادي، والمنظور والغيبى، والظاهر والباطن، واليومي والدائم.. تلتقي وتتواءم، وتؤثر وتتأثر بحسابات دقيقة يمكن للمرء أن يلحظها بمجرد أن يبذل جهداً أكبر. ولنتذكر الآية القرآنية: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْفَرَاتٍ أَمْرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد).

المعروفة، وغياب بعضها: (اقرأ)، (الهلال)، (الكتاب الذهبي)، (الكتاب الفضي)، سلسلة (كنوز القصص الإنساني العالمي)، (مطبوعات كتابي).. إلخ.. انفجار مطالب الحياة والهموم المعيشية والتكاثر الشئني على حساب ساعات المطالعة.. الحصار المنفعي لأماكن الجلوس الهادئة للمطالعة في المقاهي و(الكازينوات)، وتناقصها يوماً بيوماً لحساب التوسع التجاري الصرف.. تزايد النظم الدكتاتورية

التي وضعت الحواجز والعقائيل أمام تناقل الكتاب عبر البلدان العربية، وتداوله الحر داخل البلد نفسه.. انكسارات العملة في العديد من البلدان فيما جعل توصيل الكتاب إلى تلك البلدان

يكاد يكون مستحيلًا.. ثم انفجار وسائل الترفيه، وملء الفراغ، والنشاط الإعلامي، بدءاً بعصر الراديو الترانزستور فالتلفاز الملون فالفيديو كاسيت.. وأخيراً وليس آخراً الحاسوب والإنترنت والفضائيات، فيما قاد إلى تضيق الخناق على تقاليد المطالعة وإغراءاتها وطقوسها الجميلة..

ولقد رفعت صوتي منذ الستينيات للتحذير من هذا المصير.. فكتبت في العديد من الصحف والمجلات: أزمة التعبير في العراق.. نقد للأكاديمية.. بحث في الأسلوب المقارن.. الجسور المقطوعة.. السريالية واللغة.. حول أدب الغموض... وعشرات غيرها من البحوث والمقالات.. ولكن!





أذكر أيضاً شيئاً ما يتذكره كل الشعراء والأدباء والفنانين الذين يجيئون إلى الحياة بحساسة مفردة تجاه العالم والوجود.. قبالة الكلمة وهي تثن وتتوجع.. إزاء الأشياء والخبرات التي تث ثروة وجمالاً.. حساسية تكاد تصل بهم حافات السقم والمرض، لأن فاصل الألم بينهم وبين العالم يكاد يغيب.. يتلاشى.. وتصبح جملتهم العصبية، وجدانهم، أجهزة استقبالهم الحسي، روحهم المتحفزة.. مكشوفة تماماً.. مكشوفة حتى لرقعة عصفور.. أو صوت خفي لا يكاد يسمع.. ولكنه يصلهم.. يخفق في ضلوعهم ويقول لهم شيئاً كثيراً..

في حالة كهذه تصير الكلمة.. التعبير.. المعالجة الجمالية.. المنفذ الوحيد للتخفيف من العذاب، أو ما سماه أحمد شوقي: (الألم المبقر) وكان يعني ما يقول.. نوعاً من التطهر (الكاترسيس) إذا استخدمنا عبارة أرسطو وهو يتعامل مع التراجيديات اليونانية.

أن تصير أديباً ليس خيارك، ولكنه قدرك.. مرغم أنت على أن تكون أديباً، وإلا أكلك الهم وغدوت حطاماً..

بالكلمة يقوم أولئك الذين منحهم الله سبحانه (وصفة) خاصة لا أستطيع التعبير عنها.. مزيجاً من الدهشة والحزن والفرح والعشق والبهجة والتوق لاكتشاف المجاهيل.. والرغبة القاهرة في تحويل هذا كله.. إخراج هذا كله من تحت الضلوع وتشكيل لوحة أو نشيد أو قصيدة أو سيال من النثر مترع بالعفوية والندوة والصدق.

تلك هي البدايات الأولى التي ينبني عليها المصير.. إن شبكة معقدة من التأثيرات.. منظومة من العناصر الفاعلة، ترغم الإنسان على أن يكون أديباً فلا يسأل أحد كيف كان هذا الذي كان.. فهي المملكة التي لا يسأل الداخلون إليها: لماذا دخلوا؟

إن متابعة وحدة السورة، والبحث عن طبيعة المفصل بين مقاطعها.. عن دلالات التنقل بين الموضوعات، وهو التدبر المطلوب، لقد مارسه بعض المفسرين، وبخاصة (سيد قطب) في (الظلال)، وليس هذا هو المقصود هنا، فالقارئ المتدبر، وأنا واحد منهم، ليس مفسراً لأنه لا يملك الأدوات الكافية، وإنما هي محاولة للمقاربة، للفهم، للإيفال أكثر في نسيج هذا الكتاب الإلهي، وهي مسألة مفتوحة لكل ذي عقل، فليس ثمة حَجَرٌ في الإسلام على محاولة فهم كتاب الله، ولا توجد هناك سلطة كهنوتية أو تأويلية تحتكر حق الفهم والشرح والتعليل.

« ليس ثمة خيار

منذ تفتح الوعي على الحياة تملكنتي رغبة متأججة في التعرف على الأشياء واكتشاف سرها.. كنت أقرأ قصص الأطفال بشغف عميق.. كنت أرتشفها ارتشافاً، وإنني لأتذكر جيداً ليالي الشتاء العميق والبرد والمطر.. بيوتنا العتيقة الضيقة، والأحياء القديمة، والجمر المشتعل الممتزج بالدخان، وساعات القراءة الجذلى في القصص وكتب المطالعة المدرسية والمجلات.. ولم أكن أطلع السطور، ولكنني كنت أترقها بتوق عارم لكي أعيش الحدث من الداخل.. أصير شخصاً من شخصه.. وحينذاك كنت أضحك معهم وأبكي معهم.. أمتز وأنبض وأرتجف، كما يهتزون وينبضون ويرتجفون. بعدها، ومع ازدياد قدرة العقل على المداخلة، والإمساك بتلابيب الخبرات والأشياء.. صار الأدب يقدم لي أطباقاً من حلوى الفكر، بعيداً عن محاككات التجريد والجدل الذهني الخالص، إنما من خلال الوقائع والشخوص والمرثيات وهي تكتسي لهماً ودماً فتغدو أكثر دهشة وأشد تأثيراً..

«منطق العجز»

لقد فتح أبناء جيلي عيونهم على عصر لم يكن الكاتب فيه قد اعتقل نفسه في زنزانة التخصص، ولقد تعلمنا كثيراً . بغض النظر عن اختلاف القناعات . من العقاد وسيد قطب وطه حسين والرافعي والحكيم وبن تاشاطي والغزالي والسباعي والطنطاوي والندوي وغيرهم.. كانوا يكتبون في الفكر والأدب والتاريخ..

كانوا ينظرون وينقدون ويبدعون، بل إن معظمهم قال شعراً..

ثمة مسألة أخرى.. إن الساحة الإسلامية بالذات قد تغري بنوع من الملاحقة.. قد تجعل الكتابة في أكثر من ميدان نوعاً من «فرض العين» على كل قادر.. وتبقى

مسألة الأولويات هي التي تحدّد ما الذي ينصب عليه الاهتمام في هذه اللحظة الزمنية أو تلك..

على أية حال، ومن أجل تجاوز أي نوع من سوء الفهم، فإن تشعب الاهتمام لا يعني بالضرورة انتقاصاً لمطالب التخصص أو المنهج، ولا خرقاً لضرورات الأكاديمية.. إن ما كتبه في حقل التاريخ.. ولله الحمد والمنة . يتحقق بهذه الضوابط والضرورات، وإلا لما حصلت أساساً على الماجستير والدكتوراه، ولما رقيت إلى مرتبة الأستاذية في التاريخ الإسلامي.

إن منطق العجز وحده هو الذي يدين الآخرين، وهم يفادرون بين الحين والحين، مواقع تخصصهم

لكي يكتبوا في مجالات أخرى بعيداً عن الزنانات التي تحاول أن تقيم أسلاكاً شائكة بين حقول المعرفة الإنسانية.

إن آخر تقاليد البحث في العلوم الصرفة نفسها تدعو إلى مشاركة الإنسان في الظاهرة العلمية.. نوع من اندماج الذات في الموضوع.. هذا ما يقوله (فتكنشتاين) و(سوليفان) و(كاريل) وغيرهم بهذا الخصوص.. معنى هذا أن اتساع الفضاء المعرفي للعالم، وكسر حاجز التخصص الدقيق، عاد لكي يفرض نفسه، ليس فقط في الإنسانيات، وإنما في العلوم الصرفة كذلك.

«الظروف المستحيلة»

يتوزع المفكر في بلدي بين ألف نداء ونداء، ورغم ذلك يتشبث بمواصلة المسير



في ظروف تكاد تكون مستحيلة..

في الغرب، المفكر يفكر فقط، والفنان يبدع، فإذا بالفكر والإبداع يتجسدان في مؤلفات وأعمال فنية يتولاها حشد من معاونين.. أما في بلدي فإن على المفكر أو المبدع، فضلاً عن مهمته الأساسية، أن يكتب ويبيض ويذهب إلى المكتبات، ويسأل هذا وذاك، ويراسل، وينتظر في البريد، ويتصل بالناشرين، ويتابع التفاصيل الفنية والمالية، ويسافر.. و.. وإلخ.

ثم هو، فضلاً عن هذا كله، ملاحق بألف حصار.. بضغوط من شتى الأنواع، الحقد، والغيرة، والحسد، والتجاهل، والصمت.. ثم خطّ أشدّ مرارة: التآمر لتدميره.. اللجوء حتى إلى السلطات لإيقافه عند حده..



إنها عبادة يتقرب بها المفكر أو الأديب المسلم من الله.. كما أنها محاولة للاقترب من جماهير المسلمين، بقوة الكلمة، لدعوتهم إلى الطريق. إنه، إذا أردنا الحق، عمل دعوي، وجهد حركي، يستهدف إخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن التخبط والضلال إلى الهدى واليقين، ومن السبل المعوجة إلى الصراط المستقيم.

وهكذا يصير البحث في التاريخ، أو الفكر، أو الأدب، خطوة على الطريق.. تصير كتابة السيرة أو الترجمة أو الدراسة أو المقال أو البحث المنهجي أو الموضوع التاريخي أو القصة أو القصيدة أو المسرحية، خطاباً إيمانياً يحمل أقصى وتأثر العقلانية والمنطق قبالة كل ضلالات الدنيا، وأوهام الوضاعين. إنها، مرة أخرى، ليست خياراً، ولكنها قدر هذا الإنسان أو ذاك، من آتاهم الله سبحانه القدرة على التعامل مع الكلمة والفكرة وإخراجهما إلى الوجود بهذه الصيغة أو تلك..

أما أن يكتب الإنسان في التاريخ والفكر والأدب.. ويمضي مع هذا الأخير فينجز أعمالاً في التنظير والدراسة والنقد والإبداع، ويندفع مع الأخير فيكتب مسرحاً وقصة ورواية وسيرة ذاتية وشعراً.. فتلك منة يمن بها الله سبحانه على بعض الناس.. وحرام عليهم، والحالة هذه، أن يتكروا للنعمة، ويسلموا أنفسهم للكسل، بحجة أن عليهم أن يكتبوا في سياق معرفي واحد، وأن هذا يكفي.

أبدأ.. إذا كان بمقدورهم أن يقدموا شيئاً ما.. شيئاً ذا جدوى، في أي موضوع يتعاملون معه.. فلماذا يترددون؟.. ضرورات التخصص؟.. كلا.. فإن ما سيقولونه في كل حقل، على تباير فروعه، قد يضيف، بقوة ما أوتوه من علم وثقافة ومقدرة، شيئاً جديداً، لا يقدر على تقديمه الكثيرون ممن اعتقلوا أنفسهم في زنانات التخصص، وأصبحوا - بمرور الوقت - مجرد

وهنا يجيء دور السلطة، فإنها قد تحاصره لكي يتخذ أحد موقفين: إما التنازل عن الذات، وتسخير نفسه في خدمة السلطة، وإما الرفض والتعرض لشتى صنوف الأذى والعقاب الذي قد يصل حدّ التصفية الجسدية.

«لماذا؟»

أضع قائمة مؤلفاتي أمامي: ما الذي جعلني أندفع لإنجاز هذه الموضوعات المتباينة في سياقاتها الثلاثة: التاريخية والفكرية والأدبية، والمتنوعة داخل كل سياق؟

أهو إلحاح الموضوع نفسه بسبب جدته، وعدم معالجته من الآخرين بما فيه الكفاية؟ وربما بسبب أهميته أو أولويته؟

أم هو الدافع الذاتي للتعبير عن رغبات وقدرات كامنة تريد أن تخرج بصيغة إنجاز في هذا الاتجاه أو ذاك..

أم هما الدافعان معاً: الذاتي والموضوعي، وقد يضاف إليهما بعض الضرورات والفرص الخارجية، كأن تتقدم مؤسسة ما بطلب إنجاز مؤلف في هذا الموضوع أو ذاك؟

والحق أن هذه الدوافع الثلاثة، وقد تكون هناك دوافع أخرى، تكمن جميعاً وراء كتابات المؤلفين.. ولعله يكون أمراً ممتعاً ومجدياً في الوقت نفسه، أن نتوجه بالسؤال لحشد من الكتاب: لماذا كتبوا هذا الذي كتبوه..؟

ولكن، بالنسبة للمسلم الجاد، تظل الكتابة واجباً إيمانياً لا خيار فيه.. فرض عين يلزمه بمواصلة العمل حتى آخر لحظة من حياته.. إنها ليست خياراً ولكنها إلزام.. وليست ترفاً فكرياً، ولكن مهمة جادة تستهدف الإجابة على العديد من الأسئلة المعلقة في فضاء الفكر والروح!

ويحمل الشرعية، إلا ما تسمح به الإسلامية.. وما لا تسمح به يتحتم أن ينتقد، أو يرفض، أو يفكك للبحث عن عناصر التلاؤم، أو يستبعد كلية في نهاية الأمر.

في القصيدة والمسرحية والقصة والرواية، في الخاطر والمقال والبحث، في الدراسة والتظير والنقد، في التاريخ والمنهج والفلسفة.. وفي الفكر عبر تدفقاته كافة.. كانت المحاولة واحدة،

والهدف واحداً، وبؤرة الاستقطاب

هي نفسها: أن يكون هناك قصيدة

إسلامية، ومسرحية

إسلامية، وقصة

إسلامية، ورواية

إسلامية، وسيرة

ذاتية إسلامية،

وأدب رحلات

إسلامي، وأدب

حوار إسلامي، ونقد

ودراسة وتنظيراً أدبياً

إسلامياً.. أن يكون هناك

منهج إسلامي في البحث

التاريخي، وتفسير إسلامي للتاريخ، وطريقة في الطرح الفكري تتشكل في نسيج إسلامي!!

طبعاً، فإن هذه الكتابات كافة، والتي مضت لكي تقارب الثمانين مؤلفاً عدداً، على مدى خمسين عاماً

من العمل شبه المتواصل، ليست وحدها في الميدان..

ليست حانة فريدة.. وإنما هي حلقة متواضعة،

سبقتها وزامنتها، وستعقبها حلقات لعشرات بل لمئات

من المفكرين والمؤلفين والباحثين الإسلاميين.. والذي

أريد أن أقوله ليس هذا، ولا كنت مدعياً، الأمر الذي

أرفضه وأمقته، إنما أردت أن أقول: إنني كنت أتحرك،

حتى وأنا أتعامل مع الموسيقى، في ضوء قناعة متأصلة

حتى النخاع: أنه ما من مفردة معرفية أو خبرة في

منظفي أتربة كما يسميهم الفيلسوف الألماني «أزوالد شبنغلر».

ولو لم يكن الأمر كذلك، لما قدر كاتب كالعقاد أو سيد قطب على أن يرفد المكتبة العربية بأدبياته القيمة، وتظليلاته النقدية، وأعماله الإبداعية، جنباً إلى جنب مع ما قدمه في سياق الفكر والسيرة والتاريخ.

«بؤرة الاستقطاب

إن بؤرة الاستقطاب

في كتاباتي

التاريخية

والفكرية والأدبية،

هي «الأسلمة»..

هي تمرير كل مفردة

معرفية من خلال الرؤية

الإسلامية (لعل هذا ما

جعلني بعد عقود عديدة

أندفع في التعامل مع حركة

إسلامية المعرفة التي يقودها

المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وأستجيب للعديد من

المشاريع الفردية والجماعية التي عرضها عليّ وعلى

الآخرين، والحالة نفسها تنطبق على تعاملي مع رابطة

الأدب الإسلامي (العالمية).

مهما يكن من أمر فإنه منذ البدايات المبكرة

وصولاً إلى الأعمال المحددة والرسمية لأنشطة المعهد

العالمي ورابطة الأدب، كان هدف كل حرف انضاف

إلى بعضه لكي يصوغ الكلمة، فالبارة، فالفقرة،

فالفكرة، فالفصل، فالمبحث، فالكتاب.. كان الهدف

واحداً.. النبض والإيقاع والمؤشر.. أن تصاغ كل

المفردات المعرفية، أو يتم التعامل معها، من خلال

الإسلامية.. ألا يمرّ، ويتشكل، ويأخذ جواز السفر،





اهتماماتي بصفتي مسلماً، ولكنني بعد أن نفذتها، فيما يمكن تسميته بنوع من التساهل: رؤية حيادية للأشياء.. سرعان ما تبين لي أن رؤية كهذه هي نوع من البذر.. نوع من تجاوز الالتزام بالمطلب الأساسي، وأنه ليس ثمة حيادية - أو حتى موضوعية - في نهاية الأمر، خارج نطاق العقيدة - الحق التي تحمل قدرتها على أن تقول كلمتها في كل شيء..

ليس من قبيل التغني بروى مثالية، ولكن من خلال تراث متواضع سهرت على نسججه لدى نصف قرن، وقدم، في سياق جهود آخرين كثيرين قبلي ومعي، قناعة بشكل من الأشكال في أن «الموضوعية» هي ها هنا بالذات: أن يتعامل المرء مع كل مفردة، أو خبرة، بالمعيار الذي منحنا إياه السماء، حيث لا يعزب عن الله

سبحانه مثقال ذرة في السماوات والأرض. إنها - باختصار - قضية التعامل مع العلم الإلهي.. مع المعايير القادمة من فوق، والتي بدونها لن تصل الخبرة البشرية النسبية إلى هدفها، مهما كان البريق الذي يشع منها آخذاً بالعقول والأبصار: ﴿قَالَ أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۖ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى ۖ ﴿١١٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمًى وَقَدِ كُنْتُ بَصِيرًا ۖ ﴿١١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۖ ﴿١١٦﴾﴾ (طه)

هذا العالم لا يمكن التعامل معها إسلامياً.. ما من صغيرة أو كبيرة تخرج عن دائرة «الحكم الإسلامي» الذي يملك القدرة دائماً على أن يقول فيها كلمته. قد أكون مبالغاً في تصوّري أو قناعتي هذه، ولكن هذا سيظل على مستوى التعامل مع مفردات محددة أريد لها أن تمر أو لا تمر من قناة الإسلامية، إلا أن المبدأ الأساس.. القاعدة التي أنبت عليها معطياتي كافة.. الأسس التي أقيم عليها المعمار، ستظل منطقية وسليمة، ليس في دائرة قناعتي الشخصية فحسب، وإنما على المستوى الموضوعي، حيث كان الإسلام، ويكون، وسيكون، قدرة (أبستمولوجية) فائقة في التعامل مع حشود المفردات والخبرات المعرفية.. فهو في شموليته.. في احتوائه سائر الثنائيات المتواجدة في قلب العالم والطبيعة

والكون والوجود.. في رؤيته المفتحة على العالم.. في صيرورته الحركية المتصلة كحلقات يمسك بعضها بعضاً.. في مسؤوليته كشاهد على كل ما يتمخض في دائرة المعرفة أو الخبرة البشرية.. في توفقه الأبدي للأخذ بيد الإنسان والجماعة.. وبالتالي في شهوده الحضاري على واقع البشرية ومستقبلها.. في التزامه بالمصير الإنساني.. في احتفاظه بشكل معجز بأصوله العقدية كتاباً وسنة نبوية.. في هذا كله، كان ولا يزال يملك كل المعايير المرنّة، والملائمة، للتعامل مع مفردات الخبرة البشرية في كل زمان ومكان..

ولقد حدث أن أغررتي محاولات في دائرة الأدب، أو الفكر، أو التاريخ، بدت للوهلة الأولى خارج نطاق





د. حسن الأمrani - المغرب

في البيت العتيق

هل يسعف الروح ما يوحي به الأمل ؟
وبي من الشوق ما لو شامه جبل
إني لأفتح عيني حين أفتحها
وليس عندي جناح كي يبلغني
أه من الدمع محبوبا له حرق
يا ويح نفسي إن الذنب قيدها

أم يدرك النفس دون المبتغى الأجل ؟
لأنهد مما يلاقي في الهوى الجبل
فلا أرى غير ركب راح يرتحل
دار الحبيب ، وظهري ليس يحتمل
شحت عيوني ، ودمع القلب منهمل
ولو سوى الذنب هانت دوني الحيل

يا من غدا ببحار النور يفتسل
بلغ سلامي إلى المحبوب إن دمي
يا محرما عرفات الله أفئدة
الشوق سربلها والدمع بللها
تسمى إلى الله شوقا وهي ضارعة
تفتحت نحو عفو الله مشرعة
إذا تنزلت الخيرات مسرعة
وفضل ربك موصول بلا سبب

وقلبه حول بيت الله يبتهل
قد بات من وقدة الأشواق يشتعل
ترنو إلى الله ، والأجساد تحتفل
كأنها من تراب العشق تكتفل
وما لغير نداء الله تمتثل
لها السبيل ، إذا ما سدت السبل
من عند ربك لم تبطئ بها علل
ورحمة الله بالإحسان تتصل

يا صاحبي ودموع العين تسبقني
هيجت شوقي وهل للشوق أجنحة
إذا نسيم من البيت العتيق سرى
إن الجمال ، جمال الله ، ألمحه
إن الجلال ، جلال الله ، أبصره
يا حادي الروح ، خذني نحو خيمتهم
نسيت عندهم قلبي ، ودونهم
خذني إليهم ، فما أبغي بهم بدلا
إن يرحلوا فلقد أضفيت راحتي
سيرت أشرعتي في بحر حبهم
يا قبلة عند بيت الله فاغمة
لقد شفت كبدي من حر وقدها
يا طيبه حجرا قد كان لأمسه
صحويت بالسكر وانهلت على شفتي

وليس عن زورة المحبوب لي شغل
بها إلى حضرة المحبوب أنتقل ؟
أرسلت دمعاً ، فلا كبير ولا خجل
في سجدة تمنح العشاق ماسألوا
في دمعاً مرة يسري بها الوجيل
فالقلب في حضرة المحبوب مغفل
مفاوز ، وحجاب الليل منسدل
وكيف ينهض عمن شاقني بدل ؟
(أو ينزلون فينا معشر نزل)
إن المحبة قد أوصى بها الرسل
طيبا ، لقد ذبلت من دونك القبل
بعد الشراب وطاب النهل والعلل
ثغر الحبيب ، فيا طوبى لمن نهلوا
مدامع ذاب فيها الحزن والجذل



● عملت في ساحة تعليمية واسعة
زمانيا ومكانيا، كيف تنظر إلى
هذه المسيرة الحافلة؟ وما الذي
يميز المعلم والطالب بين الأمس
واليوم؟

● ● امتدت بي هذه المسيرة
من سنة ١٩٤٦م إلى اليوم ٢٠١٠م،
أي ٦٤ سنة ميلادية = ٦٦ سنة
هجرية شملت (التعليم الابتدائي،
والإعدادي، والثانوي، ودور المعلمين
والمعلمات، وإعداد المدرسين،
والمعهد العالي للفنون، وكلية
التربية، وكلية الآداب، ومعهد الفتح
(القسم الجامعي)، وجامعة الإمام
بالياض).

هذا، عدا الأعمال الإضافية:
الإدارية والأهلية والمسرح وأدب
الأطفال.

ونقدي الكبير الكبير للتعليم أنه
عامي غالبا منطري ولا يعد الطلبة
لستقبل مأمون.



الدكتور محمد علي محمد الله (الأدب الإسلامي)

لما عجزوا عن الطعن في القرآن التفتوا لاقتحام لغته

من العاملين بصمت في ساحة التربية والتعليم، ومن العاملين بدأب في مجال
اللغة العربية والأدب، لمدة قاربت السبعين عاما.

أخلص لأساتذته ومعلميه فأخلص له تلاميذه والمتعلمون منه، كان حضوره
المفاجئ في مدينة الرياض فرصة لاستضافته في الملتقى الأدبي بالمكتب الإقليمي
للرابطة بالرياض، حيث أمتع الحضور بجديته العذب الهادئ.
واغتنمت مجلة الأدب الإسلامي حضوره وأجرت معه هذا الحوار:



حاوره: أيمن ذو الغنى - سورية

■ لا طموحي أو جموحي، ولا طروحي أو شروحي... قادرة على شفاء جروحي وقروحي.... هذه ليست سجعات بل أنات متواصلات، لأن المسرح مقتول.. سمته غازات سامة جاءت من الغرب.

■ أقول لكتاب مسرح الأطفال: من أسباب زهد الأطفال بمسرحياتهم أن الحوار فيها أكثر من الأحداث.

متواصلات، لأن المسرح مقتول.. مقتول.. مقتول.. سمته غازات سامة، جاءت من الغرب للكبار، ومن التلفاز للصغار، أما مسرح الأطفال فما دعيت لأراه قبل العرض أو خلاله إلا مسرح مدينة دوما (الثقافي) في عروض (دار العربية)، ومسرح (مدرسة إيلاف) في مدينة (دمر) الجديدة. لماذا؟ لأن النقد - إن وجد - فهو ضحل أو (غير مرغوب فيه). ولهذا بتنا لا نسمع من أخبار الفن المسرحي سوى الحشرة. وباختصار أقول للكبار: ترجمتم مسرحيات غربية وقدمتموها للوسط العربي، فليتكم - من أجل نجاح أكبر في أعمال لاحقة - أشمتموها عطرا عربيا مع التلميح لذلك لدرء مغبة (الحقوق المحفوظة) وباختصار أقول أيضا لكتاب مسرح الأطفال: من أسباب زهد الأطفال بمسرحياتهم أن الحوار فيها أكثر من الأحداث، علما أن الإضحاك بالنكتة المنطوقة أضعف وأبرد من الإضحاك بالحدث أو الحركة أو الصورة، والإضحاك بالعبارة الطويلة أضعف من القصيرة، وهو بالأنشودة الغنائية الملحنة ضعيف أيضا، إلا إذا قل المنشدون الممثلون، وقصر النص جدا، وكثر التكرار فيه ليتمكن الأطفال أن يوهمو أنفسهم بأنفسهم بأنهم ينشدون مع الممثلين المنشدين. أما موقع (الفن المسرحي) من الفنون الأدبية - كما جاء في سؤالكم - فهو مختلف باختلاف الكاتب وطريقته، ولكنه يبقى دون الشعر مكانة، لأن الشعر مهيب غني

● لك عناية خاصة بأدب الأطفال من خلال الجمعية التي أسست لها في اتحاد الكتاب العرب والسلاسل التي أصدرتها. نرجو إعطاء القارئ لمحة عما قدمته للأحبة الصغار. وكيف تنظر إلى ما يقدم للطفل الآن من أعمال مقروءة ومسموعة ومرئية.

● ● ظهرت جمعية أدب الأطفال في الاتحاد سنة ١٩٩١، أما سلاسل للأطفال على أربعة مستويات عمرية فقد بدأت سنة ١٩٨٠، وأبرز إيجابياتها النقاء اللغوي والأسلوب، والتربوي، واشتماله على معظم المواد التعليمية، وغلبة الواقعية المقبولة، ولا سيما في الصور، ونوع الخط وأحجامه، وعدم الاكتفاء بتسليية الطفل، وأنكر المنكرات فيما هو سائد - للأسف - (السلبيات) وعلى رأسها (القتل والإرهاب) في عنصر الحركة، والتشويه الشديد للمخلوقات في عنصر الرسم.

● عملت في الفن المسرحي تعليمًا وكتابة وتمثيلًا، هل بلغت في ذلك ما يرضي طموحك، وأين يقع هذا الفن الآن بين الفنون الأدبية المعروفة؟

● ● والله يا ابن الكرام، لا طموحي أو جموحي، ولا طروحي أو شروحي... قادرة على شفاء جروحي وقروحي... أفلا أقول الآن (سجعا) ولا هذه كلها سجعات بل أنات



د. حمد الله في سطور



باتحاد الكتاب العرب.
- قدم دروساً تعليمية في التلفاز السوري على مدار ١٤ عاماً.
- اختير خبيراً تربوياً في الشرق الأوسط من قبل منظمة اليونسكو مدة ٩ سنين.
- كتب الشعر والقصة والمسرحية، وشارك في التمثيل المسرحي والتأليف الموسيقي في شبابه.
مؤلفاته:

ابن زيدون ورسالتاه، الأسلوب التعليمي في كلية ودمنة، النحو والصرف لوزارة التربية السورية، شرح المعلقات السبع، للزوزني (تحقيق)، سلاسل الفكر، أكثر من أربعين قصة ومسرحية للأطفال، له ديوان شعري (مخطوط)، ونشر عدداً كبيراً من المقالات والتقصيص والقصائد في الصحف والمجلات.

- ولد بدمشق سنة ١٩٢٨م.
- تخرج في كلية الآداب بجامعة دمشق سنة ١٩٥٧م، ودبلوم التربية سنة ١٩٥٨م.
- درس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض؛ وفي كليتي التربية والآداب بجامعة دمشق سنوات طويلة، وفي المعهد العالي للفنون المسرحية، ودار المعلمين.
- مؤسس جمعية أدب الأطفال

رغم افتقار الصورة واللون والحركة والصوت (البشري والطبيعي والموسيقي) نقول: مكانة الشعر أعلى لأنه يعطيك الصورة من غير رسوم، ويصف الحركة من غير متحرك، ويصنع الموسيقى من غير وتر، ويدفع السامع إلى التفني من غير غناء، ولا يقدر على كل ذلك إلا قدير.

زد على ذلك أن الشعر يشعرك بانفصاح المدى والرؤى رغم ضيق المكان في صفحة أو صفحات دون خلفية ملموسة كالتى استجدت باختراع المسرح الدوار والمسرح المتحرك.

● ماذا لديك من الإبداع الشعري والقصصي؟ وبمن تأثرت فيهما؟
● نظمي للشعر قليل حرصاً على أسلوبى النثري، ومن كتب في الصناعتين يعترف أن سلطان الشعر على النثر أقوى.. لذلك بادرت إلى الإقلال من النظم، وإن نظمت.. فأبيات.

وكان لدي منذ الشهادة الثانوية دفتران، سميت الأول (على أوتار الغناء) - وهو للأغاني العامة والزجل - وسميت الثاني (على أوتار القلوب) وهو للشعر والرجز وفيه مقطوعات من (غزل عفيف، وغزل لطيف، وإخوانيات ذات مداعة، ونجوى ذاتية، و«اسكتش» حوارى مدرسى، وآخر غنائى، وأحجية ونشيد مدرسى). وكان تأثري بغيري ضئيلاً

● لا، لا أتابع مسيرة الشعر الحديث لأني - بصراحة - لست شاعراً. أما حال الشعر الحديث فلن أقول لأهله سوى: (ضيق الصياد الغزال فعاد إلى قومه بقتنذ) والمعروف أن القننذ لا يصاد إلا إذا بال صياده عليه، وانظر كتاب الحيوان للجاحظ.

● تتنازع أدبنا العربي الحديث تيارات كثيرة في اتجاهات مختلفة

جداً، لأن (التأثر) تبعية أو اعتقال، فبرئت منهما بطبعي الخاص، اللهم إلا في أبيات تشم منها رائحة شعر (البهاء زهير) و (ابن سودون) وهما من عصر متأخر، لا لشعرهما، بل لدعابتهما، ولأن حياة من لا يضحك نصف ساعة في اليوم ليست حياة.

● هل تتابع مسيرة الشعر العربي الحديث؟ وما رأيك فيما آلت إليه حاله؟

■ ما تنشره مجلة الأدب الإسلامي جيد جدا، لأن طريقها واضح لها وللناس جميعا، وما كانت لتعمل بغموض أو خصوص.

سفحا...وعندئذ لن تكون إزاء الخاطئين بحاجة إلى تهديد أو وعيد، أو إغراء بجائزة، إذ حسبها عشرون سبيلا للعمل هي التي بسطناها الآن، وتعرفها الرابطة.

هذا، ومجلة الأدب الإسلامي - كما سمعت وشاهدت، تسنح لها الفرص مرارا فتفعل الكثير وتعلن عن كثير... أجل... هي تفعل ذلك كلما سنحت فإن لم تسنح (سنحتها) عن طيب خاطر بلا ضاغط ولا مضغوط.

● هل تتابع مجلة الأدب الإسلامي،
وما رأيك فيما تنشره؟

● رأيي فيما تنشره مجلة الأدب الإسلامي أنه جيد جدا، لأن طريقها واضح لها وللناس جميعا، وما كانت لتعمل بغموض أو خصوص. حتى موضوعات منشوراتها عامة ينتفع بها كل أحد، وستؤول إلى أحسن إن شاء الله، شعرا ونثرا، قصة وحوارا، ماضيا ومستقبلا، تاريخا ومعاصرة لكي تصلح لكل بلد عربي أو إسلامي وغيرهما، والحمد لله على الصفاء وحسن الاصطفاء الواضحين فيها.

● بعد انتقال رسول هذا الدين وناشره (صلى الله عليه وسلم) انتقل واجب الرسالة ونشر الرسالة إلى المؤمنين جميعا ولا سيما القادرون على فقهه وعلى وسائل بقاءه عزيزا، وفي طليعة هؤلاء: المعلمون والمؤلفون والكتاب والخطباء والأدباء وأولياء الأمور والراعون لنشأة الأجيال. ولكن كثرة من الناس راحت تقول بأفواهها وربما بخواطرها وظنونها نحن لسنا أنبياء، وليس علينا أن نلتفت إلى إسلام الناس وأفعالهم، بل نتركهم وشأنهم ما دام المثل يقول: (كل عزة معلقة من كراعبيها)؛ ولكن قد يكون القانعون بهذا المثل من التائبين حقا، فماذا نقول لهم؟ نقول لهم: توبتكم مقبولة والله أعلم، ولكنكم لم تستتيبوا أحدا بنصح ولا بإغراء، ولو فعلتم لانفتحت لكم فرجة - هي فرصة ذهبية - تمررون منها إلى الفردوس جزاء نصح أو حديث أو قصيدة تجلجل أو تزلزل فتعتدل القلوب التي في الصدور... تعتدل في جلستها أدبا وخشوعا، حوقلة وبسمة، توبة وإنابة، تكبيرا واسترجاعا، استعاذة واستغفارات تسفح الدموع

يمكن تلخيصها بالالتزام وعدمه، ما رؤيتك الخاصة في هذا الشأن؟

● أعذر عن الولوج في الالتزام وعدمه لأن الكرة لو ثبتت في إحدى الشبكتين، واستقرت فيها لانتهت اللعبة، وهم يريدون لها ألا تنتهي، واسألوا أهل الأمثال: (هل تنتهي أغنية الشيطان).

● اللغة وسيلة الأديب لإيصال شعره أو نثره إلى القراء، فهل أحسنت هي هذا الإيصال في هذا العصر؟

● أولا: هذا تحجيم لوظائف اللغة، فيها نزل القرآن، وبها يتشائم الناس.

ثانيا: هي للأديب وغيره. ثالثا: أحسنت قديما بحرص الناس عليها، ولقد تبارزوا بها كتبارزهم بالسيف والرمح والنبال ولما فقدنا هذا الحرص اقتحمتها لغات العالم.

أعني: لما عجز غيرنا عن طعن القرآن في صميم معانيه ومراميهِ التفتوا لاقتحام لفته، وهكذا فعلت أوربة في شعوب شمالي إفريقية. ويخطئ من يقول: (ليست اللغة من الدين) ثم يؤذن ويصلي بالعربية. وهذا طبيعي، أو لم نر الآخرين يرتلون كتابهم بالسريانية وما هم سريانئون؟

● كيف ترى مسيرة الأدب الإسلامي، وما الدور المنوط به؟



د. محمد وليد - سورية

رسالة عتاب

«رسالة عتب إلى القصيدة .. التي ما عادت تزورني إلا قليلاً...»

أنا أهواك من عهد بعيدة	فلماذا هجرتني.. يا قصيدة
كنت في لجة القريض سعيدا	غارقا في الهوى وكنت سعيدة
صاغ قلبي هواك شعرا وفنا	وزهور الربيع كن شهودة
ومضى يسكب العطور على الو	دأشواك الورود تدمي خدوده

* * *

قدرتي أنت في الهوى يا قصيدة	وتر في اللهاة غنى نشيدة
أنت قيدي فهل رأيت فؤادا	غير قلبي أحب فيك قيودة
لا تصديه إنه صادق الوعد	د وقلبي ما خان يوما وعوده
هل رأيت الهزار يبقى هزارا	حين يلقاك هاجرا تغريده
أو رأيت الربيع يبقى ربيعا	عندما يهجر الربيع وروده
لا تقولي غاصت ينابيع قلبي	فبقلب الينبوع تلقين غيدة
لا تقولي خبت بروقي ورعدي	إن ماء السحاب يخفي رعوده

أنا أشكوك للقريض محبا

ثم أشكو إلى الحبيب صدوده

إن فقدت القريض سوف أناجي
سأجوب القفار بعد الضياء
سوف أرقى الغيوم حتى أراه
فإذا ما أعدته عدت نفسي
إنني الشعر صار شعري كياني
هو أنسي إذا بثت همومي
هو فجرى إذا ادلهم ظلامي
هو ضوئي في آخر النفق المسدود
هو صوتي الحر الذي لا يبالي
هو نار تكوي الفؤاد ولكن

سائلا عنه كل روح شريفة
وسأسعى خلف البحار البعيدة
ثم أرقى النجوم حتى أعيدته
إيه يا نفس ما خلقت وحيدة
وكياني قد صار محض قصيدة
هو أمن لنفسي المكدودة
هو إشراقة الصباح الوليدة
دود تأوي إليه نفسي الطريفة
كتب الحق نحسه أم سعوده
لست أرضى في الحب إلا مزيدة

أنسيني في وحشتي يا قصيدة
حينما كنت والزمان شباب
تملاً السمع والفؤاد طيوري
أجتني العطر من رحيق القوائى
وأمانى في السماء تجوب الد

واذكري لي أيام أنس رغيدة
وشباب الزمان يغني وعوده
بصدى زقزقاتها الغريفة
عندما تخطر القوائى الشرودة
كون تحيا خلف النجوم البعيدة

أنسيني في غربتي يا قصيدة
حلقي في سماء روعي وكوني
واكتبيني حروف شعر وضوء
يسكن الشعر بين أهداب جفني
عرف الحب في بريق عيوني

واسكبي لي كؤوسك المعقودة
أملني في شروق شمس جديدة
يجد المرء في سناها خلوده
ثم يغفو ويستطيب رقوده
فمضى واستحال فيها قصيدة





د. حلمي محمد القاعود - مصر

بحكم الظروف الحضارية في الغرب، فإن القوم هناك لا يتوقفون عن البحث، ومحاولة الوصول إلى المناهج والطرق النقدية التي تفسر النصوص الأدبية والظواهر الاجتماعية، وفقاً للمعطيات والمستجدات التي تحكم الواقع الغربي، على المستوى المادي والصعيد الروحي.. ولم تكن البنيوية والتفكيكية آخر المطاف بالنسبة لهم، فقد ظهرت اتجاهات أخرى جديدة، تحاول أن تتجاوز القصور فيما سبق، وقد دخل علماء الاجتماع والفلاسفة والمؤرخون بقوة، إلى جانب نقاد الأدب ومدارسه السائدة.. وفي هذه الاتجاهات تبدو خيوط العودة الدائرية إلى ما سبق الحدائه واتجاهاتها المتعددة؛ فضلاً عن أن كثيراً منها - إن لم يكن كلها - تتداخل، ويبدو التمييز بينها شبه صعب، ودقيقاً..

اتجاهات نقدية معاصرة

ويمكن القول: إن هذه الاتجاهات الجديدة، تعود بقوة إلى النقد الاجتماعي، في إطار ما يسمى الماركسية الجديدة، التي تجعل للظروف الاجتماعية وعوامل البيئة والمؤثرات الخارجية، دوراً مهماً في فهم النصوص الأدبية وتفسيرها، فهناك الماركسية الجديدة، والشكلية الروسية، والتأويل، والتلقي، والحوارية، والسيموطيقا، والتحليل النفسي، ثم التاريخية أو التاريخانية الجديدة، والنقد الثقافي، والنقد النسوي، وما يعد اتجاهات تكاملياً، وإن لم يفصح أصحابه عنه.